ثورة الإيمان



د/ خالد أبو شادي

١ الانقلاب:

في الثورة على الظلم: انقلب الناس على نظام فاسد ولم يهدأ لهم بال حتى أزاحوه ليستبدلوا به غيره، وذلك في مفاجأة غير متوقعة وفي نقطة تحول رهيبة.

وفي الثورة على النفس: لزامٌ على كل شخص أن يجلس مع نفسه وينقلب عليها في نقاط فسادها وشرورها، ليقود التحول الجذري ويولد الولادة الجديدة، وما أحوجك اليوم إلى مثل هذا الانقلاب..

ومن معاني الانقلاب الرجوع، والرجوع هنا إلى الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها حتى جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم.

٢ صوِّب نحو القمر:

هكذا في الأمثال، فحتى لو لم تصبه سهامك، فإنها تهبط بين النجوم.

في الثورة على الظلم: بدأت ثورتنا بأهداف متواضعة وسقف مطالب منخفض، ثم سرعان ما تتابعت ككرة الثلج المتدحرجة تبدأ صغيرة ثم تكبر حتى تزيح في طريقها كل ما يعترضها.

وفي الثورة على النفس: سر بهذا المعنى في حياتك، وارفع سقف مطالبك من نفسك، واطلب الفردوس الأعلى من ربك، واجعل الهمة العالية مركبك، والعزم الأكيد ديدنك، واطرح تاريخك القديم مع الذنب العظيم، واجعل ما مضى سلما ترتقي به نحو فجر جديد، و إذا كان الورود على كريم فكثِّر يا فقير من الأماني.

٣ بذور الأمل تنمو في ظلمة اليأس:

في الثورة على الظلم: غزا اليأس القلوب والأرواح حتى بلغ الأمر منتهاه قبيل الثورة، فإذا الناس في بؤس وانعدام أمل من التقدم قيد أنملة فضلاً عن إزاحة الظلم والظالمين، وطال الليل على الناس حتى هاجر كثير من المخلصين، وبقيت قلة مؤمنة أبت أن تترك سفينة الوطن بين أيدي المفسدين، فانتفضوا ثائرين حتى أجرى الله على أيديهم النصر المبين.

وفي الثورة على النفس: لا تستسلم لشيطانك، ولا تفقد الأمل في استرداد إيمانك، ولتدرك أن الحرب سجال، وأنها جولة وجولة، وأن المعركة لاتزال دائرة ما دام في الصدر نفس يتردد، وأن الصبر مفتاح الفرج، وأن الذنب الكبير قد يكون مقدمة الفتح الكبير، وأن لحظة واحدة باقية في العمر قد تحوِّل دفة المعركة إلى صالحك.

الثورة -أخي وأنت يا أختاه- بذرة بذرناها في الظلام .. شقت ضوء النهار .. فكان الحصاد: انقلابًا شاملاً وتغييرًا كاملاً.

٤ وتعاونوا:

في الثورة على الظلم: شهد الميدان أسمى ألوان التلاحم بين كل الألوان، وكان هذا عاملاً حاسمًا في انتصار الثورة، ولولا ذلك لنهش جند الباطل القلة القليلة التي خرجت

ثورة على الظلم، والكثرة تغلب الشجاعة، وما كان للانتصار أن يتم لولا ضم الصفوف إلى الصفوف والتوحد على هدف واحد تحت راية واحدة.

وفي الثورة على النفس: لابد أن يتقوى الضعيف بالقوي، والمسيء بالمحسن، والمتأخِّر بالمتقدِّم، ليجد كل منهم من يقف إلى جواره يسانده ويعاونه، ويؤنس غربته إذا تفرَّد في الطريق ولم يجد من يؤنسه، والشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ويد الله مع الجماعة، وكدر الجماعة خيرٌ من صفو الفرد، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، والأهداف الإيمانية الكبيرة لا تُدرَك إلا بتضافر الجهود الكثيرة.

٥ عدوى الخير تنتشر:

في الثورة على الظلم: بدأت الثورة بأفراد قلائل، وسرعان ما سرت وانتشرت انتشار النار بين الهشيم، فكانت جمعة الغضب، وغدت تتزايد كل يوم حتى عمَّت طوائف الشعب كلها.

وفي الثورة على النفس: يقول رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**». [حسن]

ومن مسايرتنا لهذه الثورة: أن يشغل بالنا كيف نهدي غيرنا، نرضي بذلك ربنا، وندخل السرور إلى قلب نبينا، ونضمن استمرار جريان نهر أجرنا علينا بعد موتنا، رافعين شعار: لابد بعد الصلاح من الإصلاح، وبعد التنبيه من التكوين، وبعد التدريس من التأسيس، وهتاف ركبنا يعلو: أصلح نفسك وادع غيرك.. ودع القافلة تسير.

٦ الثورة المضادة:

في الثورة على الظلم: تشهد الثورات دوما ثورات مضادة، ويسعى الثوار بكل يقظة واجتهاد في التصدي لها لحماية مكاسب ثورتنا وإتمام نجاحها، ويفعون أهبة الاستعداد والحذر ممن يريد الفتك بها وتدميرها.

وفي الثورة على النفس: حين تنطلق في رحلة تغيير نفسك، تقف شياطين الإنس والجن لك بالمرصاد، يضعون في طريقك العقبات، ويسلطون عليك من وسائل إفسادهم وجنود إضلالهم ما يثنيك عن غرضك النبيل وهدفك السامي، ويصبح الاختبار الحقيقي هو تجاوز عقبة البداية، والاستمرار في العمل الذي يقود حتمًا في النهاية إلى الوصول إلى شاطئ الاستقرار.

٧ بقدر الثمن تغلو السلعة:

في الثورة على الظلم: ما انتصرت ثورتنا إلا بعد أن دفعنا الثمن غاليا من دماء شهدائنا.. وجراح أبطالنا.. وأوقات فلذات أكبادنا.. حين حملنا الأرواح على الكفوف.. نرجو رضا الله عن الإطاحة بالظالمين وإزاحة المفسدين.. ولولا ذلك لظلت أماني الإصلاح أحلاما تداعب الأجفان وأوهام تستغرق النيام.

وفي الثورة على النفس: من طلب الفردوس دفع ما تطلبه الفردوس من أثمن الأوقات وأشق المجهودات.. والطموح الذي لا يعاني صاحبه التعب والهم ما هو إلا أضغاث أحلام.. والمطلب العالي لابد له من همة عالية تحمله، والطريق إلى الجنة يتفاوت فيه السائرون.. فيه الجواد الكريم الذي لا يبخل عن جنته بشيء، وفيه المقتصد الذي ينفق تارة ويمسك تارة، وفيه كذلك البخيل الذي زهد في رضا مولاه وصحبة مصطفاه، والسلع المعروضة في سوق الآخرة متفاوتة الأثمان.. كلها تهتف بالخاطبين: هلموا.. ولكلٍّ أن يختار من بينها ما يشاء، بشرط أن يدفع الثمن المستحق قبل الوصول هناك!!

٨ لكن الله يعلمهم:

في الثورة على الظلم: جهلنا أسماء كثير من الشهداء لكن الله الذي أكرمهم بالشهادة علمهم وشرَّفهم، وكم من قائم في الميدان دعاً ربه مخلصا فنصرنا دعاؤه وسترنا بكاؤه، وكم من أتقياء أخفياء ردوا عن ثورتنا الضر والبلاء.

وفي الثورة على النفس: أخلص لله عملك ولا تبالِ أعرف الناس موضعك أم جهلوه، فحسبك أن الله يعلمك ومجازيك، والإخلاص مفتاح قلوب العباد في الدنيا، وسر الترقي في منازل الآخرة.

٩ الأهم فالمهم:

في الثورة على الظلم: كان من أهم الأولويات الحرص على ملاحقة رؤوس الفساد ثم الفلول، مع استرداد الأموال المنهوبة قبل جمع التبرعات من الشعب المطحون، وتقوية مؤسسات الدولة بدلاً من القيام بمهامها.

وفي الثورة على النفس: الأهم فالمهم، فالفرائض أولاً ثم النوافل، وظلم العباد أبشع من ظلم النفس، والبدء بواجب الوقت ضرورة بدهية، وهذا الفهم يقطع الطريق على الشيطان أن يلعب بعقولنا ويضلل أفهامنا.

١٠ السابقون الأولون:

في الثورة على الظلم: من الذي أشعل أول شرارة في هذه الثورة، وماذا كان دوره؟ وانظر كيف كانت همته حين سار عكس التيار؟ ولم يستسلم لجبن إثر رغم بطش الظالمين ووعيد المجرمين؟!

وفي الثورة على النفس: تطلعات إلى زيادة الأجر، وطمع في أن تسبق غيرك إلى حور الجنة، وشوق إلى أن ترتقي درجتك فوق درجات غيرك، وأن تكون في الصف الأول الذي يلقى رسول الله على الحوض، فمن منكم يتقدَّم الصفوف بعمله؟ وأيكم يحجز مقعده في الصف الأخير؟!